

# المُتخيل الروائي انعكاس للواقع المعيش

## عصام أبوشندي: الإنسان العربي ينبغي أن يتخلص من عقدة النقص



الناقد لايوثر في الكاتب (لوحة للفنان سنان حسين)

البنوية إلى التفكيرية وسط ستينات القرن العشرين، راح الإنسان العربي يكتب في البنية مع مطلع سبعينات القرن ذاته، ويمكن القياس على ذلك في ما يتعلق بالحداثة أو الأسلوبية.

النقد العربي يلهث وراء الآخر انطلاقاً من كونه ليست له شخصية مستقلة، وهذا هو الواقع المرير الذي تعيشه هذه الحركة منذ قرن من الزمان حتى الآن، فبعد أن تحول الإنسان الغربي من

الدوريات العربية الخاصة بهذا الجانب، ويدور حولها في مقارنته لنصوص نظرية روائية، وفي ما يتعلق بحركة النقد، يشير الكاتب إلى أن المشكلة الكبرى هي أن

فكرة 'اللجوء' ويعبر عنها بالشكل الذي انا مقتنع به".

تحضر الأسطورة في رواية "أيتام وقطط"، وهي ليست أسطورة بالمعنى الحرفي للكلمة، بل هي أقرب ما تكون إلى حكاية متخيلة قريبة في سمتها من حكايات البدو في نمط أسطوري، يُبين الكاتب أنها تتجلى في معالجه لتيمة القط الأحمر في هذه الرواية، ورغم ذلك، يفضل أبوشندي أن تكون الكتابة على السجية، بمعنى أن الكاتب يترك لنفسه الحرية في الكتابة، الأمر الذي يظهر الإبداع في أجلى صورته وأجملها، لا أن يلوي أعناق الأساطير وغيرها من الأفكار لتغزو جزءاً من كتابته، سواء أكانت مقبولة أم نشازاً فيها.

ينوء أبوشندي بأن تجاوز التابوهات في الرواية بالمعنى الحرفي الذي يحمله مصطلح أو تعبير "تابوه" من منع أو حاجز يجدر تجاوزه سياسياً أو دينياً أو اجتماعياً، لا يحتل نفس أهمية تخلص الإنسان العربي من عقد النقص، فالإنسان العربي المسلم الذي وصل إلى مرحلة من القناعة بأنه أقل من غيره من الأنواع البشرية الأخرى، وبات يشعر بالضالة أمام غيره من البشر؛ كالإنسان الأوروبي أو الأمريكي أو الياباني ينبغي أن يتخلص من هذه العقدة وتعود له ثقته بنفسه التي كانت قديماً، وهذا ما يجدر بالأديب أن يفكر فيه ويسعى من ثم إلى ترسيخه في قرارة نفس قارئه، بوصف هذا الأديب فيلسوفاً منوطاً به التغيير نحو الأفضل.

### النقد والإبداع

يكتب أبوشندي الرواية والنقد كذلك، وبلغت إلى أن الجانب الخاص من شخصيته بوصفه ناقداً لم يؤثر في الجانب الآخر الخاص بالإبداع، وهذا يعود إلى سببين: الأول أنه كانت تتوفر لديه الرغبة في الكتابة منذ أمد بعيد، لكنها تأخرت لظروف خاصة، أي أنه بدأ كتابة النقد الأدبي تالياً وهو المحب الرابع في كتابة الرواية منذ صغره، وثانياً أنه ينأى بشخصيته بوصفه ناقداً عن شخصيته كمدع بشكل تام، بحيث لا تؤثر هذه في تلك بالمثل، مبنياً أن معظم كتاباته النقدية بحوث أكاديمية ما زال ينشرها في

تبقى العوالم الافتراضية لدى الروائي وسيلة ناجعة تمكنه من سبر أغوار ما يعتلج في الواقع المعيش بجوانبه كافة، دون أن يسقط في فخ المباشرة أو التقريضية، ليمارس مهمته في التحليل والاستنباط في ثوب من المتعة الأدبية. "العرب" حاورت الروائي والناقد الأردني عصام أبوشندي حول عوالمه الافتراضية في أعماله الروائية.

خلاله أن يُعبر عما يحمله من شعور بالأسى والحزن إزاء الحال السيئة للإنسان العربي في الجانب السياسي خاصة، فالأذى الذي يتعرض له السجين العربي في المتخيل الروائي الذي كتبه في هذه الرواية، هو انعكاس لواقع ما زلنا نعيشه حتى هذه اللحظة. ومن ثم، فإن اختيار مكان افتراضي لأحداث هذه الرواية يعود إلى سببين: أولهما حتى يظل هذا المكان الافتراضي يوحى ويشير إلى أي سجن عربي يمارس فيه مثل ما مورس في ذلك السجن الافتراضي، سجن "أبو زعريب" والثاني لينأى بنفسه عن الدخول في خصوصية مع صاحب القرار العربي.

يؤمن أبوشندي إيماناً مطلقاً بأن الأدب يجب أن يكون في خدمة الحياة، فالناسي التي عاشها الإنسان العربي على مدى القرن العشرين وصولاً إلى العقدين الأولين من هذا القرن، تمثل مُعيناً ثرياً يمكن أن ينهل منه الأدب الآلاف من القيم والتيمات شعراً ونثراً لمساحة معاناة الإنسان العربي وماسية، وربما هذا ما دفعه إلى الانخراط في كتابة النصوص ذات النكهة السياسية، كرواية "دماء على الجدران" و"سائرون إلى هناك" وأيضاً رواية "ملايس عسكرية".

في ما يتعلق باختيار عناوين الأعمال الأدبية، يقول الكاتب "أحاول أن تكون هذه العناوين لا مباشرة ولاقطة لانتباهه كذلك، انطلاقاً من أن 'العنوان' هو العتبة الأولى للنص، فهو الذي قد يجذب القارئ لقراءة العمل، وفي بعض الحالات قد يثنيه عنه أيضاً، لذلك فانا غالباً ما أؤخر اختيار العنوان إلى المراحل النهائية من كتابة العمل، حتى إذا انتهت منه كان اختيار العنوان أسهل بعد أن يكون العمل نضج تماماً، ومثال على ذلك فقد كنت أنوي أن أعنون رواية 'سائرون إلى هناك' بعنوان غير هذا، ولكني وبعد أن انتهيت من كتابتها، وجدت أن هذا العنوان يحمل



حنان عقيل  
كاتبة مصرية

في روايته الصادرة حديثاً بعنوان "سائرون إلى هناك" يتخذ الكاتب الأردني عصام أبوشندي العوالم والشخصيات الافتراضية مطية لبناء رؤية نقدية إزاء مجريات الواقع الراهن. ويوضح الكاتب "هذه الرواية تمثل مقاربة لفكرة 'اللجوء'، لجوء الإنسان العربي، بدءاً من لجوء الإنسان الفلسطيني ونشئته في أصقاع المعمورة، ولجوء الإنسان العراقي وصولاً إلى لجوء الإنسان السوري من بعده، ذلك أنني بنيت الرواية على وجود شخصية افتراضية هو 'النورس بيك'، وهو حفيد افتراضي لشخصية لورنس العرب، يوظف إمكانياته الضخمة في التغلغل بين أبناء 'الحاج يعرب بن يحرب بن يحرب'، وهو شخصية افتراضية أيضاً".



عصام أبوشندي  
المناسي التي عاشها  
الإنسان العربي معين  
ثري للكتابة

هذا ما يؤدي، كما يقول أبوشندي، إلى هلاك ثلاث من نبات الحاج يعرب على التوالي: الحاجة صخرة، ثم الحاجة دجلة، ثم الحاجة بردي، وتفرق أبنائهم لأجنين في أصقاع المعمورة.

### انعكاس للواقع

يقول الروائي "كتبت رواية 'سائرون إلى هناك' بدافع من الأسى الذي أحمله في نفسي، تجاه ما آلت إليه حال الإنسان العربي، اللجئ منه خاصة بسبب سوء ظروف أمته، فهذه الرواية تدور في الفك السياسي الذي كتبت فيه باكورة أعماله، وهي رواية 'دماء على الجدران' التي تصنف على أنها في أدب 'السجون'".

"دماء على الجدران" هو عنوان العمل الأول للكاتب، الذي حاول من

## متاحف العذابات البشرية



**متاحف العذابات أنشئت في أغلبها ببلدان أنجزت التحول إلى الديمقراطية، للحفاظ على الأثر الدامي حتى لا يتكرر مستقبل**

الوطنية الوارثة ودعم شرعيتها، لهذا كانت لها وظيفة دعائية هي جزء أصيل من بنية الأنظمة الاستبدادية المنتجة لثقافة الشر.

تقول متاحف المقاومة نقض ما تقوله متاحف الذاكرة، فالأولى تدفن عنفاً اجنبياً، متّهماً من قبل السلطة الوطنية بوصفه انتهاكاً لسيادة دولة ومجتمع، وأن السلطة الوريثة بمظلماً تمارس عنفاً "شرعياً"، لكن ليس ذلك العنف الشرعي أساساً هو ما تنهض عليه متاحف الذاكرة، تقول حنة أرندت في مقطع دال من الفصل الأخير من "أيخمان في القدس"، "لا يكفي أن تقول إن ألمانيا الرايخ الثالث كان مهيمناً عليها من قبل عصابة من المجرمين، الذين من الصعب تصورهم كآسياد. إن يعرف أي كان أن التماثل مع عصابة أشرار ليس جائزاً إلا على مستوى محدود جداً، إلى درجة أنه لا يصبح جائزاً أبداً. ومعروف أيضاً أن هذه الجرائم وقع اقترافها في إطار منظومة 'شرعية'. وهذا فعلاً ما يميزها".

التعذيب. وأسماء لمحققين مشوهين ممن خلدوا في تاريخ تلك المظالم، وأيضاً أسماء الآلاف من الضحايا. انشئت هذه المتاحف في أغلبها ببلدان أنجزت التحول إلى الديمقراطية للحفاظ على الأثر الدامي حتى لا يتكرر مستقبل، لكنها تعلم الوافد أيضاً أن المجتمع الذي بنى للجريمة متاحف لم يتمكن من ذلك دون ثمن، وبغير أن يتخلص من "عبيثة الشر" الدفينة، وأن قيامها كشواهد على ما جرى ضرورة أساسية لتحسين الحرية والسلم والحق. من هذا المنطلق تتجلى تلك المتاحف بوصفها ذات جوهر ثقافي، لا يختلف عن الجوهر الثقافي لمتاحف الفنون الجميلة، وإن كان لا ينفصل عن الإطار الماركائيتي المتصل بمؤسسات الثقافة في المجتمعات الغربية.

وفي بعض البلدان العربية نعثر على متاحف من نوع آخر، هي متاحف المقاومة أو المجاهدين، ولا نعثر على متاحف لعذابات بشرية، متاحف المقاومة تعرض جريمة الاستعمار، وصور الشهداء، والأليات الحربية المستعملة من قبل المقاومين، وحين زرت متحف المجاهدين بالجزائر، وهو أهم متحف من هذا النوع في البلاد العربية اكتشفت شقا كبيراً مخصصاً لآليات التعذيب المستعملة من قبل المستعمر الفرنسي، ويمكن زيارة تلك المتاحف العربية بثمن زهيد أو مجاناً، ولا يرتاد إلا القليل منها، زوار محليون، طبعاً لم تبين هذه المتاحف برغبة الحفاظ على ذاكرة الجريمة حتى لا تتكرر، وإنما بهدف تمجيد السلطة

في الكثير من تلك المتاحف يعثر الزائر على آلة العذاب وعلى الوثيقة: سجلات المحاكمات، صور وأفلام، لوحات تخيلية، وارشيف صحافي بالنسبة لجرائم الدول الحديثة، جنباً إلى جنب مع رموز السلطة الاستبدادية الممارسة للعنف، من الصليبان إلى المنجل والمطرقة ومن تماثيل القديسين إلى أنصبه الحكام الشموليين، وهياكل افتراضية لمن قضى تحت آلات



ليست متاحف للفن بل للتذكير القاسي

الإنسان بسانتياغو، ومتحف الإبادة الجماعية بنوم بينه بكمبوديا، ترسم دائرة عار البشرية؛ تتقدم إلى زائريها بوصفها مؤسسات للذاكرة يلجها الباحث والسائح، السادي والعاطفي، والرابع في النحيب على مظالم عرقية وعقدية. وبعضها بأثمان تذاكر باهظة، أي أنها في النهاية تتحول إلى متاحف فعلية، تقدم خدمة شبيهة بتلك التي تقدمها متاحف الفنون والحضارات.

ليست تحفاً بالتأكيد، إلا بالمعنى الذي يجعلها فريدة في سياقها؛ من متاحف محاكم التفتيش بطليطلة وقرطبة وغرناطة، إلى متحف ذكرى الهولوكوست بوأشنطن، مروراً بمتحف التعذيب بامستردام، ومتحف الكيجيبي ببراغ، ومتحف أوشفيتز ببركناو ببولندا، و"متحف طوبوغرافية الربع" الخاص بالتراث الدموي للغيستابو ببرلين، و"متحف الذاكرة وحقوق



شرف الدين ماجدولين  
كاتب مغربي

في كتاب حنة أرندت "أيخمان في القدس"، وهو تحليل نقدي لتقرير صحافي الوعي بالآثم، ويمارس العنف بما هو واجب تجاه الدولة أو العقيدة أو المجتمع، وبتعبير أدق تجاه السلطة الضامنة للعيش.

كتبت أرندت دراستها دون أن تردّد في أن تحمّل جزءاً من المسؤولية الأخلاقية للضحايا أنفسهم، بوصفهم قتلوا إنساق بطواعية، ودون مقاومة إلى العذاب والموت، ومن ثم فالتفاهة والعبيثية تتسللان الجداد والضحية على حد سواء، بالنظر إلى استناد كليهما إلى مبدأ الخضوع، استجابة الجداد لأمر السلطة، وروكون الضحية لإرادة الجداد.

بعد صدور كتاب حنة أرندت بعقود سنتنا تدريجياً عبر أصقاع العالم متاحف تخلد الجرائم ضد الإنسانية، وتتجلى المفارقة بارزة حين تتحول فضاءات عرض التحف إلى مكان لتجميع صور واليات ووثائق ولوحات متصلة بذاكرة العذاب البشري، هي